

في أحد الأيام وبينما نحن في طابور الصباح في المدرسة، حدثت جلبة كبيرة ثم سمعنا هتافات عالية بالروح بالدم نفديك يا فلسطين.. بالروح بالدم نفديك يا فلسطين، وخرجت المدارس والتقت مع المدارس الأخرى في حشد يردد الهتافات والصرخات، وكان الجميع في فرح كبير وسعادة غامرة وقد جاء ذلك اليوم بيوم الكرامة حيث نجح الفدائيون الفلسطينيون في الأردن في صد الهجوم الإسرائيلي على الجبهة الأردنية. طافت المظاهرات شوارع المخيم وهي تردد الهتافات وترفع الأعلام ثم انفصلت حيث عدنا إلى بيوتنا. شعور الجميع كان في قمة العزة والشموخ، فبعد نكسة ١٩٦٧، كما اعتاد الناس تسميتها وفقاً لتسمية النظام العربي الرسمي لها كان هذا أول نصر على جيش الاحتلال الإسرائيلي. ومن مجموعات الفدائيين التي كانت تعسكر على الضفة الشرقية نهر الأردن في منطقة الكرامة وكانت قد بدأت في تشهد بعض العمليات الفدائية عبر الحدود.

بعد عصر ذلك اليوم جلست كالعادة مع جدي في الساحة القريبة من زاوية البيت، حيث يجتمع رجال الحي يتحدثون، كانوا جميعاً في غاية النشوة وبدأت تتردد كلمة الثورة الفلسطينية واسم حركة التحرير الوطني (فتح) وقد بدا واضحاً أن (فتح) قد بدأت تتقدم لتتبوأ موقع الصدارة في قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية للاحتلال، يومها سمعت بعض الرجال يقولون (يا عمي هاي الكلام المزبوط ما يبحرث الأرض غير عجولها، كنا نعتمد على الجيوش العربية كنا ننهزم، وفي أول مرة بنحارب إحنا بننتصر، رغم قلة حيلتنا وضعف سلاحنا) والرجال جميعاً يهزون رؤوسهم موافقين مؤيدين.

خلال الأيام التالية تزايدت وتيرة العمليات الفدائية في داخل الأرض المحتلة في الضفة الغربية وغزة، وكما كانت أمي دوماً تقول (نفس الرجال بحبي رجال) فكأنما أحيانا نصر معركة الكرامة نفوس الكثيرين بالأمل والاستعداد، ويبدو أن مخابرات الاحتلال قد جمعت معلومات مفادها أن كثيراً من العمليات التي تحدث في غزة منبعها من مخيم الشاطئ، فقد فرضت على مخيمنا منع التجول. في هذه المرة طال منع التجول كثيراً، تجاوز ثلاثة الأسابيع حتى أنه تجاوز الشهر وأوضاعنا في المخيم ازدادت سوءاً وقسوة، المخيم كان تحت نظام حظر التجول منذ شهر.

الحياة تجري على طبيعتها على بعد عشرات الأمتار في المدينة، ارتفع أذان الظهر من مآذن المساجد في غزة مسجد العباس يقع على الشارع الرئيسي في المدينة شارع عمر المختار وعدد من الرجال والشبان يتوافدون على المسجد ليؤدوا الصلاة.